من رسائل القديس صفرونيوس القصيرة

إتحادنا بالمسيح؛

لأن المسيح يسوع واحدٌ من اثنين

رسالة الى الأب زكريا

من رسائل القديس

الأب صفرونيوس القصيرة

www.coptology.org

صفرونيوس خادمُ الربِّ يسوعَ المسيح، سلامٌ ونعمةٌ ومحبةٌ لأبوتكم أيها الأب الحكيم زكريا المتقدِّم في التدبير، وكاهن أسرار العهد الجديد.

الاعتراف الأرثوذكسي بالإيمان:

١– نحن نعترف بربٍّ واحدٍ وابنٍ واحدٍ، وحيد الجنس ومخلِّص الكل يسوع المسيح، واحدٌ من اثنين: لاهوتٌ مساوٍ للآب، وناسوتٌ مساوٍ لنا حسب التدبير.

بهذا الاعتراف الحَسِن نؤهَّل لشركة الحياة الأبدية التي أفاضها ربُّ المجد يسوع المسيح من عند الآب، ووَهَبَها لنا بالروح القدس المعزِّي الذي يسكن فينا؛ لأننا بالروح القدس، نؤهَّل لمعرفة ربنا يسوع المسيح، وبهذه المعرفة؛ نطرد كلَّ فكرٍ غريبٍ يُبعدنا عن الحياة الجديدة.

سؤالُ الأخوةِ عن تجسُّد الابن:

٢– بخصوص سؤال الأخوة عن تجسُّدِ الابن له المجد، وعن اعتقادنا الأرثوذكسي، أقول إننا نؤمن بأن الأقنوم الثاني، أي الابن، وهو ليس ثانياً في العدد؛ لأنه لا توجد أعدادٌ في الله، ولا هو ثانٍ لأنه بعد الآب في الرتبة، ولا هو الثاني لأنه أقل من الآب، وإنما نقول الأقنوم الثاني حسب تصنيف العقل البشري، ومن أجل الاحتفاظ بتمايز الأقانيم، لا من أجل حسابٍ بالأرقام لجوهر الثالوث؛ لأن حتى كلمة "ثالوث"

هي كلمة صحيحة توجِّه الحكمةَ والوعي الإنساني، ولكنها ليست حساباً عددياً؛ لأن الله ليس آباً يضاف إليه الابن، ويضاف إليهما الروح القدس، فيصير ثلاثة، بل هو الآبُ والابنُ والروحُ القدس، الثالوث الواحد بالجوهر. ووحدانية الجوهر تمنعنا نحن من الحذف والإضافة واستخدام الأعداد؛ لأن الأعداد لا تليق بوصف الخالق، بل هي إبداع العقل لترتيب الحياة الإنسانية لسهولة التعامُل بين البشر.

٣– أقول إننا نؤمن بأن الابن الأقنوم الثاني جاء إلينا. ونعني بأنه جاء، أي أنه تجسَّد، وأن تجسُّدَه هو عملٌ أبديٌّ لا ينتهي، بل هو دائمٌ في كل زمان ومكان؛ لأنه متجسِّدٌ دائماً بعد ولادته من القديسة والدة الإله العذراء مريم.

وعندما يقول رسول رب المجد: "فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولوسي ٢: ٩)، فهو يقصدُ بكلِّ يقينٍ أنه حلولٌ دائمٌ أبديٌّ في الجسد الذي أخذه من والدة الإله. وعندما نقول إنه "لَبِسَ الناسوت"، فإننا نؤكِّدُ أنه لم يكن متجسِّداً، وأنه أخذ ما هو ليس من طبيعته، أي الناسوت الغريب دائماً عن طبيعة الله، والذي دُعِيَ إلى اتحادٍ مجيدٍ في يسوع المسيح، لا مثيلَ له، يفوقُ كلَّ ما يمكن أن يُقال عن الله وعن المحبة.

٤– قبلْ تجسُّد ربِّ المجدِ كانت المحبةُ أعمالاً إلهيةً تُعطى بسخاءٍ وبصلاحٍ إلهيٍّ لكلِّ الخليقةِ حسب قول سيدنا وربنا يسوع المسيح إن الآبَ "يُشرِق شمسه على الأبرار والأشرار" (متى ٥: ٤٥). ولكن في تجسُّد الكلمة ابن الله الحي، صارت المحبة بتجسُّدِهِ ليست مُعلَنةً فقط في ناسوت الرب يسوع، بل صارت إلهيةً متأنِّسةً، وأخذت الصفات الإنسانية واتَّحدت بها، وأبادت ما هو ضعيفٌ ودخيل، لا يصلح للحياة الأبدية؛ ولذلك تمجَّدَ الناسوتُ فصار ناسوت "آدم الأخير" (١كو ١٥: ٤٥)، الذي وُلِدَ من العذراء بالروح القدس، لكي ينقل الأصل الإنساني من آدم الأول إلى أصلٍ

جديدٍ سمائي، هو ربنا يسوع المسيح[1].

٥– المحبةُ المتجسِّدةُ هي المحبةُ الإلهيةُ التي تعين الضعفاء؛ لأنها ذاقت الضعفَ البشري، وحقاً قال رسول الرب: "لأنه قد جُرِّب مثلنا في كل شيء، يعرف كيف يعين المجَرَّبين" (عب ٢: ١٨حسب اقتباس المؤلف).

٦– هذه المحبة الإلهية الأزلية التي تجسَّدت في أُقنوم الابن الكلمة، هي ذات محبة الله الآب، وهي ذات محبة الله الروح القدس؛ لأن المحبةَ لا تعرفُ الانقسامَ، ولا يدخل عليها الانفصال، ولا تقدر كلُّ ضعفات الخليقة أن تنال منها، بل العكس هو الحق الصريح؛ لأن المحبةَ هي محبةُ الخالق الذي دَبَّرَ تكوينَ ورَسْمَ حدود الطبائع، أي بدايتها وحياتها ومسار وجودها، ولذلك، لا تقوى الخليقةُ أن تفرضَ على الخالقِ شيئاً. هذه تصوُّراتُ قلوبٍ لم تدرك بعد أنها خُلقت بواسطة الكلمة ابن الله، وأن حدود الطبع رَسَمَها الخالقُ، فهي لا تحدِّدُ عملَ الخالقِ، بل الخالقُ هو الذي يحدِّدُ عملها ويرسمُ وجودها ونهايتها.

٧– عندما خلقَ اللهُ الإنسانَ على صورته ومثاله (تك ١: ٢٦)، فقد غَرَسَ فيه بذرةَ المحبة لكي يحب الحياةَ، ويسكن فيه الكلمة من خلال المحبة. وكلُّ عملٍ تزرعه المحبةُ هو من الله؛ لأن الإنجيلي الطاهر قال: "مَن يحب يعرف الله وقد وُلِدَ من الله" (١يوحنا ٤: ٧)، ومَن يحب الله، يحب الخيرَ والجَمَالَ والحقَ؛ لأن هذه هي الملامح الأولى لصورة الله في الإنسان. χαρακτηρ

٨– وعندما اتَّحد لاهوتُ الله الكلمة بالناسوت، فقد أَخَذَ كلَّ ما لنا، ليس فقط الجسد والنفس، ولكن كلَّ المكوناتِ (الإنسانيةِ) للإنسان، وبدأ يجدِّدُها من الداخل –مثل مهندسٍ حكيمٍ له صبرٌ في العمل الشاق، يبني بيتاً قد تهدَّم– بالحياةِ فيه،

---

(١) راجع القديس أثناسيوس الرسولي، الرسالة إلى أدلفوس ٩ و١٠ والرد على الأريوسيين ٣: ٣٣.

وبتحويل كلِّ ما هو قابل للهدم والزوال إلى جمالٍ، وتغيير الفاني إلى خالدٍ، فقد أخذ ربنا الإنسانَ الذي وَرَثَ الدَّاءَ الخفي (الخوف من الموت)، وأعاد تشكيل الإنسانيةِ التي أخذها من القديسة مريم؛ لكي بالاتحاد به، تتعلَّم وتنمو صاعدةً نحو البذل؛ لأن ملكَ المجدِ يسوع المسيح، من جهة ناسوته، هو الإنسانُ الوحيد الذي لم يحيا لأجل ذاته، ولا فَضَّلَ حياته وأمسكَ بها، ورفضَ أن يقدِّمها، بل حُرًّا قَدَّمَ ذاته: "من أجل السرور الذي رآه في تقديم ذاته، احتملَ الخزيَ، ولذلك جلس في يمين عرش الله" (راجع عب ١٢: ٢).

لقد نَمَتْ المحبةُ من محبة الذات، في ربنا يسوع، إلى محبة البذل، دون أن تنفصلَ أو تنقسمَ؛ لأن المحبةَ تُوحِّدُ، ولأن المحبةَ هي اختيارٌ حُرٌّ يُفضَّلُ على أي اختيارٍ آخر.

٩– وعندما جَلَسَ الربُّ في العلية مع تلاميذه، وكان يرى ما سوف يزرعه في حياة البشر من عطاء، سَكَبَ حياته في السِّرِّ المجيدِ، ولأنه الكلمة (اللوغوس) خالقُ كلَّ الأشياء، فقد رَسَمَ أن يعطي رَسْمَ المحبةِ في السِّرِّ المجيدِ بالخبز والخمر؛ لكي ينقل محبته كخالقِ كلَّ الأشياءِ بواسطة ما خلقه، أي الناسوت، إلى الخبزِ والخمرِ؛ لكي ينقلَ أيضاً الإدراك (الوعي)، إذ يرى التلاميذُ وكلُّ الكنيسةِ أن الكلمةَ الخالقَ المتجسِّدَ، إنما يقدِّم حياته تقديماً حُرًّا يضُمُ فيه الإنسانَ وعناصرَ الكونِ؛ لكي يتجلَّى ربُّ المجدِ واهبُ الحياةِ في الوليمة السمائية التي ينقل بها عناصرَ الكونِ إلى كيانه الإلهي المتجسِّدِ الذي أخَذَ من الكونِ الذي خلقه الخبزَ والماءَ والخمرَ وسائرَ الأطعمةِ، عندما كان يعيشُ بيننا، أي في "أيام جسده" (عب ٥: ٧). فرغم كَونه الكلمةُ الخالقُ، إلَّا أنه عاش منذ ولادته على طعامِ البَشَرِ وعلى شَرابِ كلِّ إنسانٍ، بل لَبِسَ ملابسَ سَتَرَ بها جسده؛ لكي لا يظهر عارياً؛ لأنه بكلِّ حَقٍّ، كان قد تأنَّسَ و"شابهنا في كلِّ شيءٍ ما عدا الخطية وحدها"، له المجدُ على تواضُعِهِ ومحبتهِ للبشر.

فقد عاش حياتنا الإنسانية بكلِّ ما فيها من صومٍ وصلاةٍ وعَطَشٍ وجوعٍ

ووجعٍ وألمٍ، ثم جاز "وادي ظلال الموت"، فقام ظافراً، أي مات وقام، وفي كل مراحل حياته الإنسانية كان يحوِّل الناسوت إلى ذبيحةٍ تغلبُ الموتَ، ثم إلى حياةِ عدم الموت عندما ينقل لاهوتُهُ إلى ناسوتِهِ الخلودَ الخاصَّ بلاهوتِهِ، ليس لأن هذا كان بعيداً أو غير كائنٍ، بل لأن الناسوتَ لم يكن مستعداً له، إذ لم يكن قد عَبَرَ الموتَ، ولا ذاقه بالجسد[1]. فقد كان من الضروري لأجل خلاصنا أن يأتي إليه الموتُ لكي يقهَرَهُ الابنُ في جسده، ولكي يعيد تجديد الجسد فيه؛ لأن الإنسانَ الجديدَ المخلوقَ، مخلوقٌ في يسوع المسيح (راجع أفسس ٢: ١٥).

والخلقُ الجديدُ، كان تجديداً للقديم، ورَدَّ القديمِ إلى بهاءِ مجدِ الصورةِ الأولى، أي صورة الله ومثاله، ودَعْمَ هذه الصورة بالاتحاد؛ لكي لا تنشأ منفردةً كما نشأ آدم كصورةٍ ومثالٍ لله، بل كما جدَّد آدمُ الأخير الصورةَ التي جدَّدها في كيانه، فصار التجديدُ اتحاداً بأقنوم الله الكلمة، تجديداً داخلياً يُنقلُ إلينا سرائرياً.

١٠– قبلَ تجسُّدِ الكلمة، كانت الصورةُ الإلهيةُ عطيةً وُهِبَتْ لحياةِ الفردوس، وبوصيةِ حياةٍ تسبقُ المعرفةَ؛ لأن المحبةَ هي جوهرُ الشركةِ، وهي (أي الشركة) ينبوعُ المعرفةِ الصحيحةِ؛ لأن المعرفةَ الكاذبةَ تسبقُ المحبةَ، وتحدِّدُها وتجعلها أسيرةً لحدودِ المعرفةِ الذاتيةِ التي تُولَد بدون الشركة.

وكانت حدودُ الطبيعة الإنسانية هي: الصورة الإلهية – الفردوس – وصية الحياة. وكانت شركةُ آدم في الله الكلمة، هي شركةً داخليةً، إذ لم يكن الإنسانُ قد انقسم بعد، إذ كانت الصورة الإلهية تجِدُ كمالها وغايتها في الكلمة ابن الله. **لكن هذا تغيَّرَ بعد سقوط الإنسانية في آدم، وسيادة الموت على الحياة، إذ أصبحَ الإنسانُ موتاً يعمل في الكيان، أو –إذا شئنا الدقة– موتاً في حياة. لذلك، تجسَّد الكلمةُ؛ لكي يصبحَ حياةً في الموت، ويعطي لنا ما فقدناه في آدم، وهو ما يجعل الكنيسةُ**

---

(١) راجع صلاة الساعة التاسعة: "يا مَن ذاق الموت بالجسد".

تسبِّحُ وتمجِّدُ الربَّ يسوع: "أخذَ الذي لنا، وأعطانا الذي له"؛ لأن تسبيحَ الثالوثِ هو شكرٌ، فيه تمجيدٌ للنعمة التي أخذناها في الرب يسوع، نعمةٌ دائمةٌ قال عنها الرسول إنها: "بلا ندامة" (رو ١١: ٢٩)، إذ لا عودةَ إلى ذات الشركة التي كانت للإنسانية عندما خلقنا في البدءِ، بل إلى ما هو أعظم.

١١– ولما وَحَّد الربُّ يسوع الناسوتَ في أُلوهيته، لم يجعله واحداً بالقهرِ أو بالاستيلاءِ أو بالإخضاعِ القسريّ، بل جعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاطٍ ولا امتزاجٍ ولا تغييرٍ، فهو اتحادُ طبيعتين، جاء من المحبةِ الإلهية التي جعلت الحلولَ المتبادَلَ *Perchoresis* هو حركةَ محبةٍ إلهيةٍ للإنسانية؛ **لأن الحلولَ المتبادَلَ**[١] **يجعلُ اللاهوتَ يشترك في كل صفات الناسوت، ويفتحُ بذلك مجالَ تجديدِ الناسوتِ؛ لكي يتجدَّدَ ويصبح الناسوتُ ممجَّداً بصفاتِ اللاهوت التي يحتاجها لكي يبقى إنساناً كاملاً حيًّا خالداً متألِّهاً بالاتحاد**؛ لأن الاتحادَ طَرَدَ الموتَ وأباده من الناسوت، لأن الموتَ هو سببُ الخطيةِ.

ومع أن الموتَ جاء مع الخطيةِ، كما قال رسولُ ربِّ المجدِ: "بالخطية دخل الموت إلى العالم وبالخطية الموت" (رو ٥: ١٢)، **إلَّا أننا لم ننتبه إلى أن الرسولَ لم يكن يذكرُ موضوعين، بل موضوعاً واحداً، وهو ليس السببَ والنتيجة، بل الجِذرَ والثمرة؛ لأن كلاهما ينميان معاً، فلا موتَ بدون خطيةٍ، ولا خطيةَ بلا موتٍ، تماماً**

---

(١) الحلول المتبادل περιχώρσις. وتعبير الحلول المتبادل أدق من "الاستيعاب المتبادل"؛ لأن الحلول هو حركة محبة؛ لأن περι تعني حول around ومع أن χωρηις تعني أيضاً يحتوي، إلا أن الإضافة περι حسب الترجمة اللاتينية القديمة Ciruminsession وهي في الإنجليزية Interpenetration واستُخدمت الكلمة أولاً في تأكيد الحلول المتبادَل بين اللاهوت والناسوت في الرب يسوع، ثم بعد ذلك في شرح حركة وحياة الثالوث نفسه، لا سيما عند يوحنا الدمشقي، وتوسَّع في شرحها البابا بندكت السادس عشر في مقالته المشهورة Deus Caritas Est (الله محبة). وتعبير "الاستيعاب المتبادل" ينفي الحركة، ويحول حركة المحبة المتبادلة بين اللاهوت والناسوت في المسيح يسوع إلى سكون، والمحبة ليست Static لأنها حركة شركة. التجسد جاء بزرع المحبة في الناسوت بإخلاء الذات كطريق للمحبة وبطاعة المحبة وبعدم انقسام المحبة بين الذات – الكون – الآب. ومع أن الأب صفرونيوس لم يقدم لنا شرحاً كافياً إلا أنه قدَّم لنا المحبة الإلهية المتجسدة التي أضافت الجانب الإنساني في المسيح إلى أُلوهيته، وهو موضوع يحتاج إلى مزيدِ بحثٍ.

مثلما أنه لا ثمرةَ بلا جذرٍ، ولا جذرَ بلا ثمرةٍ. وبعد السقوط، صار جذرُ الخطيةِ هو ذاته جذرَ الموتِ، حسبَ قول الرسول: "وأما شوكة الموت فهي الخطية" (١كو ١٥: ٥٧). وقد تجرَّدَ ربُّنا يسوع من هذا الداء الخفي؛ لأنه جعل محبتَه لذاته وللآب، محبةً واحدةً بلا انقسام، وبلا تعدُّدِ غاياتٍ؛ لأن تعدُّدَ الغايات (الأهداف) هو الذي يُقسِّم محبةَ الإنسانِ الساقط في التعدُّدِ، إذ يفضِّلُ ذاته على الله وعلى الآخرين، ولا يحسبَ أنه مساوٍ لباقي البشر بسببِ قهرِ الكبرياء للإدراك، وسيطرةِ الكبرياء على القلب. لقد أَحبَّ يسوعُ الناسوتَ، أي الإنسانية، ولذلك حرَّرها في كيانه الإلهي. وعندما قال: "أنا هو القيامة والحياة" (يوحنا ١١: ٢٥)، فهو تعبيرٌ عن الاتحاد الأقنومي؛ لأن القيامةَ أُضِيفَت إلى أعمال اللاهوت بسبب التجسُّد. فهو القيامةُ؛ لأنه قام، ولأن قوة القيامة هي عملٌ من أعمال اللاهوت، استُعلِنَت لنا جسدياً.

الناسوتُ غيرُ قابلٍ للتقسيم، ولا يخضعُ للفساد؛ لأنه ناسوتُ القيامةِ:

١٢– الموتُ داءٌ خفيٌّ كامنٌ في النفس وفي الجسد. يعملُ في النفسِ، وينتقل عملُ الموتِ من النفس إلى الجسد، كما ينتقل من الجسد إلى النفس أيضاً؛ لأن أوجاعَ الجسدِ تختلطُ بالحياة العقلية، وتعطي لها صفات الضعف والتردُّدِ وطياشة الفكر، وانعدام الرؤيا الصافية. أمَّا أوجاعُ النفسِ، فهي الخوف والكبرياء والبغضة والكراهية والغضب والحقد والطمع، وكلُّ هذه الأوجاع لها مظاهرُ جسدانيةٌ مثل ارتعاش الجسد في الخوف والغضب، ونظرات العينين في الاستعلاء والكراهية، والصوت الذي يصرخ في حدةٍ، كأنه بالصراخ يكسب ما يحارِبُ من أجله.

وعندما جاء الكلمةُ إلى الحياة الإنسانية، وَجَدَها فارغةً متهدِّمةً، بلا حياةٍ دائمةٍ، بل أسيرةً للموت، ومع ذلك، فقد أخذ الحياةَ القابلةَ للموت لكي يطرد الموت منها، ونَقَلَها بالحَبَلِ (البتولي) من العذراء مريم من آدم الأول إلى أُقنومه الإلهي،

فدخلت الحياةُ الإنسانيةُ من اللحظةِ الأولى، مجالَ الحياةِ الإلهيةِ. وعندما وُلِدَ كإنسانٍ كاملٍ (له نفسٌ إنسانيةٌ وجسدٌ)، فقد أخذ يصوغ النفسَ والجسد معاً أولاً في وحدةٍ بلا انقسام؛ لأنه قَابَلَ الموتَ في جسده باتحاد النفس بالجسد لكي يُبيد الانفصالَ بين النفس والجسد الذي جاء به الموت. وعندما قَبِلَ الموتَ سمحَ للموت بأن يفصل ناسوته إلى نفسٍ تنزلُ إلى الجحيم، وجسدٍ يُوضَعُ في القبر، ولأن الموتَ تمَّ بإرادة الرب يسوع ونَفَدَ في كيانه، فَقَدَ الموتُ سلطانه، إذ لم يعد له سلطانٌ على أحد؛ لأن سلطانَ الموتِ كان ملتصقاً بالدينونة، وبحكم الموت "موتاً تموت" (تكوين ٢: ١٧)، فقد كَسَرَ الربُّ سلطانَ الموتِ، إذ أباد الدينونة؛ ولذلك نصلِّي ونقول: "لا يكن موتٌ لعبيدك، بل انتقال"؛ لأن الذي مات عنَّا، رَفَعَ الحكمَ عن كلِّ البشر، وعندما أُبيد الموتُ في جسد الرب، لم يعد هذا الجسدُ خاضعاً للفساد والتقسيم، بل حيَّاً حياةً إلهيةً لا تأخذ من عناصر الكون، أي الماء والهواء والطعام والشراب، ما يعطي لها الحياة، بل صار لاهوتُ الكلمة هو مصدرَ حياة الناسوت بعد القيامة. وصار "نَفَسُ الحياةِ" (تك ٢: ٧)، هو الذي يحرِّكُ الناسوت ويحييه. وصارت القوةُ العاقلةُ هي طعامَ وشرابَ الناسوت، وصار المجدُ هو رداءَ الناسوت، وظَلَّ مع هذا (التحول)، إنساناً لا يفنى بسبب الاتحاد؛ لأنه صار أيقونة *Icon* الحياة الجديدة التي سوف (نتحول) نحن إليها عندما نقوم في اليوم الأخير.

١٣– لكن ملامحَ هذا الاتحاد، تُشرِقُ فينا؛ لأننا نتحول وننمو صاعدين نحو الحياة المجيدة، إذ نرى، وبالرؤيا، نختار ونريد تاركين القديم، أي الإنسان القديم الفاسد، ونلبسُ الجديدَ في يسوع المسيح، والذي نأخذه كاملاً في السر المجيد (الإفخارستيا) سِرِّ الاتحاد الفائق غير الخاضع للفساد والموت؛ لأنه دواءُ الخلودِ، وعربونُ القيامة، وطعامُ الحياة الأبدية الذي يعطي لنا عدمَ الفساد داخلياً في نفوسنا إلى أن ينقلَ الربُّ يسوع هذا لأجسادنا في اليوم الأخير عندما نقوم مثله.

ماذا تعني عبارة نصير مثله؟

١٤- هي لا تفيد التحول لكي نصبحَ مثل الابن الوحيد؛ لأن الذي يفصـلُنا عن الابن الوحيد هو جوهرُ الأُلوهة والأزلية، وهما معاً، لا وجود لهما في أيٍّ مخلوق. **وعندما يحلُّ ويسكن فينا الثالوث، فهذا لا ينقل إلينا جوهر الله، وإنما ينقلنا نحـن كبشرٍ إلى الحياة الإلهية؛ لأن وجود جوهر اللاهوت فينا، لا يحولنا، فهو لا يسـكن فينا لكّي يحولنا إليه، بل يسكن فينا لكي نحيا به بشراً متألِّهين بالنعمة. هـو لـيس متألهاً؛ لأنه إلهٌ. وحتى تألُّه ناسوت الرب، وهو ما نصير نحن إليه، لا يجعلنا آلهةً مثل الابن الوحيد، أو مثل الروح القدس، بل ينقل أصلنا من العدمِ الذي جئنا منـه إلى الحياة التي لا عدمَ فيها، بل الخلود؛ لأنها حياةٌ إلهيةٌ وَصَلَت إلينـا بسـبب اتحـاد اللاهوت بالناسوت في ربنا يسوع المسيح، ومع ذلك، تظل إنسانيةً؛ لأن العـدم لم يعد ملتصقاً بها، بل الحياة الإلهية هي ينبوع كل نعمة، وهي تسكبُ النِّعَمَ المتنوعـةَ من أجل بقاء الإنسان في شركة دائمة أبدية حيَّة مجيدة.** هذه هـي الملامـح الأولى للحياة الجديدة التي أخذناها من ربنا يسوع المسيح، وهي تُوهَـب لنـا في السـرائر الكنسية.

توزيع الجسد والدم على المتناولين:

١٥- السِّرُّ المجيدُ، هو الخبزُ الحي النازل من فوق من عند الآب (يوحنـا ٦: ٣٣، ٥٠)، وهو عطيةٌ سمائيةٌ؛ لأنه جسدُ ودمُ ربنا يسوع. **من فوق، أي ليس أرضياً؛ لأنه كما أنه حُبِلَ به في أحشاء أُم النور والدة الإله، ووحَّده بلاهوته، فنقلَ أصـله من آدم إلى أُقنومه، هكذا أيضاً الخبز والخمر، وهما من ثمـرات الأرض، ينقلـهما الروح القدس من الأصل الأول، أي الأرض إلى الأصل الجديد، أي الحياة الإلهيـة المتجسِّدة؛ لأن الروح الذي كوَّن جسد الكلمة هو ذاته الفاعل ⲉϥⲉⲣⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲛ في الإفخارستيا، إذ ينقل الخبز والخمر إلى تدبير الكلمة المتجسد**؛ لأنه لهذا السبب عينه،

مُسِحَ الرب يسوع، فصار "المسيحُ" حاملاً في كيانه الإلهي المتجسِّد مِسحة الروح القدس، الذي يوهَب لنا؛ لأننا بذات الروح، نقبلُ الجسدَ والدمَ، وبذات الروح نستدعي الروح على الخبز والخمر، وهو الذي يكشف لنا أن ما نقدِّمه نحن الترابيون، قد صار سمائياً؛ لأن التجسُّد والصَّلب والقيامة والصعود فَتَحَ ينبوعَ التقديس يوم العنصرة، فوحَّد السماء والأرض. **فالتجسُّدُ هو الاتحاد، والصَّلبُ هو إبادة الموت، والقيامةُ هي الخلود، والصعودُ هو دخول الطبيعة الجديدة ليسوع إلى "حضرة الآب"، والعنصرةُ هو انتقال كل هذه إلينا نحن؛ لكي يصير لنا شركةً حيَّةً أبديةً مجيدةً، أي كمال التدبير.**

١٦- الذي جَلَسَ مع تلاميذِهِ القديسين في العلية، هو نفسُهُ الجالسُ عن يمين الآب، وهو نفسُهُ القائمُ عند كلِّ مذبحٍ يوزِّعُ جسده ودمه على المؤمنين؛ لأنه اجتمع مع الكل، التلاميذ، ثم الكنيسة لكي يكون ربًّا وفادياً وواهبَ الحياة للكلِّ، وكما وزَّعَ جسده بيديه الطاهرتين اللتين بلا عيب في العلية، هو يوزِّعُ بنفس اليدين، جسده ودمه على الكلِّ في كل (أرجاء) **المسكونة، حيث مذابح الخدمة التي هي في الحقيقة مذبحاً واحداً؛ لأنه لا يوجد تفرقٌ وانقسامٌ في عطاء المحبة.** وحيث نرى الساعات والأيام والأماكن متفرقة حسب النظر (الطبيعي)، فهي ليست كذلك حسب التدبير؛ لأن ما يفصل (أبعاد) الزمان من أيام وساعات، هو حسب ترتيب الخليقة الأولى، أمَّا حسب التدبير الخاص بالخلقة الجديدة، فإن الأيام والساعات والأماكن هي مؤتلفة موحَّدة حسب عمل الكلمة ابن الله خالق كل الدهور. إذا أدركنا ذلك، استطعنا بنفس النظر (الإدراك) الروحي، أنْ نرى أنَّ الميلاد من بيت لحم، والختان في اليوم الثامن، وبعد ذلك المعمودية، كانت إعدادَ القربان السماوي، أي جسد ابن الله؛ لكي يُبيد موانع الشركة، ولكي يتم طريق التطهير بالانتصار على الشيطان في البرية، واستنارةِ الخليقة بالتعليم، واستعلانِ قوة التجديد في علامات الدهر الآتي، أي قيامة لعازر، وابن الأرملة، وإكثارِ الخبز والسمك، والسيرِ على المياه، وردِّ البصرِ للعميان، وطردِ الأرواح النجسة، وتحريرِ الإنسانية من فرائض الشريعة. وبعد أن

تم كل هذا، قدَّم الربُّ جسده على الصليب، لكي يكسرَ شوكة الموت، ويرفعَ حكم الدينونة، ويردَّ الحياةَ بالقيامة، ويقودَ الإنسانيةَ إلى السماء بالصعود، ومن السماء، يرسل علينا الباركليت روح الآب (يوحنا ١٥: ٢٦)؛ **لكي يجمع الروح ما جَمَعَه الابنُ المتجسِّد في حياته وكيانه وتعليمه وميلاده وموته وقيامته؛ لأن عملَ الروحِ مُتَّحدٌ في الغاية وفي الإرادة مع عمل الابن والآب؛ لأن للثالوث الواحد، إرادةً واحدةً، وتدبيراً واحداً بلا فواصل زمانية، فلا زمانَ في الثالوث رغم عمل الثالوث في الزمان، ولا توجد فواصل تفصل الميلاد عن المعمودية؛ لأن الربَّ واحدٌ، ولا يوجد ما يفصل الصليب عن القيامة؛ لأن المخلِّصَ واحدٌ، ولا ينقسم الروح[١] القدس إلى عطايا عندما يوزِّع عطايا الحياة الجديدة؛ لأنه الربُّ الواحد الذي يعمل الكل** (**١كور ١٢: ٦**).

عدم فساد ناسوت الرب يسوع المسيح:

١٧– في الزمان الحاضر، حيث الخليقة الأولى لا تزال قائمةً تَمُرُّ بالمخاضِ في انتظار التجديد (رو ٨: ٢٢)، فإن إعادة خلق القديم تمَّت كاملةً، ولكن كمال الخلق هو بالقيامة، كما أن كمال الخلق الأول هو نضوج الطفل لكي يصير رجلاً. هكذا كمال الخلق الجديد، هو نضوج الجديد لكي يقومَ كاملاً بعدم فساد، أي قيامة الكل التي صار لها بداية بقيامة الرب يسوع المسيح "البِكر" و"المتقدِّم" علينا في كل شيء.

ولَمَّا صُلِبَ الربُّ يسوع لم يُكسَر عظمٌ منه (يوحنا ١٩: ٣٦). وعندما مات ودُفِنَ لم يرَ فساداً (أع ٢: ٢٧، ٣١)، فقد جاء لكي يقهر الفساد ويُبيد الموت؛ لذلك يدخل عدم الفساد الخاص بالخلق الجديد في فساد الخليقة الأولى مثل الخميرة التي تخمِّر

(١) ويجب أن نضيف إلى عبارة الأب صفرونيوس أن مواهب الروح القدس هي أعمال الروح القدس، التي لا تُقسِّم الكنيسة ولا تقسِّم الروح؛ لأن التقسيم والفصل جاء مع الخطية والموت. والحلول المواهبي هي آخر بدعة تحارب الروح القدس نفسه، وقد لحق القائلون بها بموكب مقدونيوس الذي سُمِّيَ في التاريخ الكنسي بـ"عدو الروح القدس".

العجين. ولذلك، حسب النظر (الطبيعي)، نرى تقسيم الجسد، ورشم الجسد بالدم حسب التسليم، وتوزيع الجسد والدم على المتناولين كلٍّ على حدة، وكلٌّ هذا حسب النظر (الطبيعي)، أي ما تراه العيون، ولكن الرؤيا التي يعطيها الروح القدس للمؤمنين هي ليست في تقسيم وتوزيع، بل هي في رشم الجسد بالدم؛ لأن ختم الصليب هو ختم العطاء الإلهي. ولا انقسامَ في العطية؛ لأن العطية والواهب هما واحدٌ الابنُ والروح القدس. **وتقسيم الجسد هو فرز ميراث كل مؤمن، وهو ذات الميراث الواحد الذي لا يُحسَب شكلاً أو كماً، بل حسب العطاء الأبدي، هو ميراثٌ واحدٌ لكل المتناولين؛ لأن المسيحَ واحدٌ لا ينقسم، ولأن غاية توزيع جسد الرب ودمه، هو أن تصبح الكنيسةُ واحدةً بلا انقسام، ولكي تنال الشفاء من جراح الخطايا.**

هل بعد كل هذا، يمكن أن نعود إلى ما جاءت به الخطية، وما حَبِلَ به الموت نفسه من تقسيمٍ وفساد، لكي نرى بعيون الموت والخطية، هباتَ الله لنا؟ وهل بما فَسَدَ فينا من قوى الإدراك والنظر (الفهم)، نرى الرب يسوع نفسه، ونحسبه إنساناً مثلنا؛ لأنه تجسَّد وصار في هيئة البشر (فيلبي ٢: ٦)، ولا ندرك أنه جاء إلينا لكي يحولنا نحن إليه، لا لكي يتحول هو إلينا، ويصبح مثلنا؟

لذلك، علينا أن نكون حكماء مع الذين لم يفهموا التدبير، وأن نشرح التعليم الرسولي واضعين له الأساس الذي سُلِّمَ إلينا لكي ينير روح يسوع قلوبَ غير الفاهمين، ولكي لا يكونوا بعد جسدانيين، أي يأخذون (مقاييس) الحياة الأولى التي خَضَعَت للفساد والانحلال، لكي يجعلوها حُلةً ولباساً للحياة الجديدة، وبذلك يفقدون الاثنين معاً الأولى والجديدة؛ لأن الخمرَ الجديد في الزقاق القديم يجعله ينشق، والرقعةَ الجديدة في الثوب القديم تُفسِد الثوب القديم، كما قال الربُّ معلِّمُ الحكمة الحقيقة (راجع مت ٩: ١٧).

زمان القيامة:

١٨– لقد قَبِلنا الموتَ، ليس موت الخطية، بل موت الصليب، أي "الموت عن الخطية" (رو ٦: ١)، وهو ذات موتُ يسوع نفسه الذي مات و لم ينكر أنه ابن الله، بل "اعترف الاعتراف الحسن" (١تيمو ٦: ١٣)، و لم يستسلم لظلمة الكراهية؛ لأنها ذات ظلمة الشيطان، ولا للعداوة لأن العداوةَ غريبةٌ على الله (١يوحنا ٢: ٩)، ولا عاشَ لأجل ذاته فقط، بل جعلَ حياته لأجل غيره، وهو الذي لم يطلب حياته لكي يحفظها لنفسه، بل قدَّمها، فوجدها فيه وفي الآب وفي الروح القدس وفي الآخرين؛ لأن حبة الحِنطَةِ متى وقعت في الأرض وماتت، لم تعد حبةُ حنطةٍ، بل صارت ذات ثمر وفير (راجع يوحنا ١٢: ٢٤).

نحن، لذلك السبب، لا نُرضي ما يجول في قلوبنا، **ولا نعتبر الأفكارَ أساسَ حياتنا، بل الرب يسوع هو حياتنا كلها هنا وفي الدهر الآتي**. وإن جاءت علينا أفكارٌ سابقةٌ من ذاكرةٍ قديمة، فهي بلا قيمة؛ لأن الماضي ليس له فائدة عندنا، حتى لو كان مقدساً بريئاً؛ لأن أبينا العظيم أنطونيوس كان يرى كلَّ يومٍ بدايةً جديدةً، وكان يقول: "حيٌّ هو الربُّ الذي أنا واقفٌ أمامه اليوم"[١].

نحن أحياءٌ، ليس بما لدينا من أفكار، بل بما لدينا من محبة. ونحن أقوياءٌ، ليس بسبب النُّسك، ولكن لأن ثقتنا في ربِّ المجدِ أعظمُ بكثيرٍ من ثقتنا بما نعرف ونفهم ونريد، لأننا نحن في الابن.

وعندما نقول إننا في الابن بسبب تجسده، فإننا نعني ثلاثة أشياء:

أولاً: هو رأسُ الكنيسةِ، والوسيطُ الوحيد الذي جَمَعَ في أُقنومه الإلهي،

---

(١) راجع سيرة الأنبا أنطونيوس، الفقرة ٧.

ووحَّد به، الطبيعةَ الإنسانيةَ التي أخذها من والدة الإله.

ثانياً: أن لنا وجوداً دائماً (في الابن بالروح القدس)، لا يمكن أن تفصله الخطية؛ لأنه وجودٌ حسبَ اتحادٍ إلهيٍّ بالناسوت (في يسوع المسيح)، وليس حسبَ إرادةِ وقدرةِ الطبيعةِ الإنسانية للمؤمنين، بل هو حسب قدرة ومحبة الطبيعة الإلهية التي جعلت الناسوت واحداً مع اللاهوت بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

ثالثاً: إن وجودَنا نحن في الابن هو وجودٌ حسب النعمة، وهو وجودٌ حقيقيٌّ لا انفصالَ فيه؛ لأنه لا انفصالَ بين الناسوت واللاهوت في الابن، وهو ما سوف يُعلَن كاملاً فينا في اليوم الأخير؛ لأننا سنكون مثل المسيح، أي مثل اتحاد اللاهوت والناسوت فيه، حسب التسليم الرسولي: "أيها الأحباء نحن الآن أولاد الله (أي لنا نعمة التبني في المسيح)، و لم يظهر بعد ماذا سنكون (لأننا لم ندرك بعد حقيقة اتحاد اللاهوت بالناسوت)، ولكن نعلم أنه إذا أُظهر (أي في اليوم الأخير)، نكون مثله (أي مثل اتحاد لاهوته بالناسوت) لأننا سنراه كما هو (أي سنرى المجد الخفي فينا الذي سيُعلَن، والذي لا يمكن للزمان الحاضر أن يعلِنه؛ لأنه عاجزٌ عن استيعاب قوة ومجد ومحبة المسيح فينا)" (١ يو ٣: ٢).

اتحاد اللاهوت بالناسوت في رب المجد:

١٩– لم يتَّحد ربُّ المجدِ بطبيعة البشر من أجل احتياجٍ خاصٍّ به، ولكن كما نقول في الأمانة المقدسة: "هذا الذي لأجلنا نحن البشر، نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم". وتجسُّدُ الربِّ لأجلنا جاء بالاتحاد بين الله والإنسان، وهو ما أنشده رسول الرب القديس بولس: "مَن يفصلنا عن محبة الله التي لنا في المسيح"، **وبعد أن حسب كل ما في الخليقة المنظورة وغير المنظورة، قدَّم لنا بشارة الخلاص باستحالة الانفصال عن الرب، ليس بسبب أعمالنا، ولكن بسبب قوة الاتحاد التي جاء بها الابن له المجد، فهو اتحادٌ مع الآب في الابن بالروح القدس،**

حيث لا مجالَ للأعمال، بل لنعمة الله. ومع أن الاتحاد الأقنومي هو خاصٌّ بالابن، إلَّا أن ما يخصّنا نحن، هو الاتحاد نفسه، حيث لا يوجد موت أو فساد أو افتراق، بل مجد وحياة وشركة. وكما وَحَّدَ الربُّ ناسوته مع أُقنومه الإلهي، هكذا سوف يوحِّدنا نحن بأُقنومِهِ الإلهي ليكون هو الكرمة ونحن الأغصان (يوحنا ١٥: ١ – ٢)، وهو الرأس الذي منه كل الأعضاء، وبذلك نصلُ إلى ملء تجسد ابن الله، أي الإنسان الكامل المخلوق من جديد حسب الله.

(يبدو أن النصَّ غير كامل؛ لأن الرسالة بدون خاتمة).